


قصة

# لأجلكِ تغيرت

وسام مصطفى

تصميم الغلاف: يارا عمر

# لأجلك تغيرت

## وسام مصطفى

قصة

# لأجلك تغيرت

المؤلفة :وسام مصطفى

نشر في :فبراير ٢٠١٧

تصميم غلاف:يارا عمر

تقييم وتصحيح:شمس الحياة $ سلمى أشرف

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكتروني



# مقدمة

**يقولون إن الحب يصنع المعجزات، هل أتخلى عن صفاتي التي لازمتني طوال حياتي من أجلُحبّ لك لي؟ هل يسامِح قلبك وينسى كل جرحٍ مني فقط من أجل حبي لك؟ وهل يستحق هذا الحب أن أتغيَّر أنا وتسامحي أنتِ؟**

**لأجلك تغيرت!**

إن أردتَ إثارة غِيرة الأنثى فعليك بأنثى أخرى، أهم صفاتها: الدلال، الغنج، والنبرة الكارثية... المغوية!

وها هي تلك "الحيَّة" تضع أناملها الطويلة والجميلة بشدة على كتفيه، وطلاء أظافرها الأحمر الغبي كلون ملابسها الفاضحة يلائم ربطة عنقه وبذلته السوداء.

أيُّ تفكيرٍ هذا!

نفضت أفكارها من رأسها وعدَّلت إطار نظارتها وثبتته جيدًا، تأكدت من أزرار قميصها الحريري الأزرق المحتشم وتنورتها السوداء الطويلة والواسعةوأخيرًا أخفت بعض الخصلات الهاربة من طرحتها السوداء البسيطة وضمَّت الأوراق إلى صدرها كما لو أنها تستدعي الهدوء منها كي لا تفتعل جريمة قتل، ربما ستكون تقطيع كليهما بأنيابها الرقيقة!

ثلاث دقَّاتٍ على باب مكتبه أعلمته مَن الطارق، فاعتدل في جلسته وهو يحاول إبعاد أنامل تلك المثيرة عن كتفيه، وسرعان ما فهمت هي وابتسمت بدلالٍ قبل أن تعود للجلوس مُقابلةً له.

فتح باب المكتب وظهرت هي، بعينيها البنيتين خلف تلك الإطارات الكريهة بشدة، فهي تُخفي عنه لمعتهما العاشقة وانعقاد حاجبيها بصرامة مضحكة تتمسك بها حين تُقابله في الجامعة، وملامحها الطفولية الشهية، إضافةً إلى ذلك شفتاها الورديتان والخالية من أحمر الشفاه الذي يتمنى رؤيته عليهما فيذوق منهما، جمالها الطبيعي الذي يشُعره بالطهر في وسط مجتمعه ومكان عمله والذي يسوده الكثير من أمثال تلك "الحيَّة"، شِبه ابتسامة ارتسمت على شفتيه؛ فمن المؤكد أنها قد لقبتها هذا اللقب كسابقاتها.

قطع أفكاره ونظر نحو عينيها فعقد حاجبيه متسائلًا أين ثائرته ونظرات الغيرة بعينيها؟ بل هي تكاد لا تنظر نحوه ولا نحو كتلة الإغواء أمامها.

ابتلع ريقه بتوتر ورسم ابتسامة لا تقل توترًا عن نبرته:

- إسراء تفضلي.

ونال منها نظرة باردة رغم النيران المتأججة بداخلها، يبتسم وبكل برود! وهو يعلم بأنها قد رأت قرب تلك الطالبة المقززة منه عبر جدران مكتبه الزجاجية اللعينة، مدَّت يدها تقدم إليه الأوراق وبنبرة جافة زادت من توتره تمتمت:

- هذا هو البحث الذي طلبته منَّا أستاذ قصي،رجاءً منك أن تدقق إن كان كل ما به كما طلبت لأرى إن كان عليَّ تعديل أي شيء.

تناول منها الملفات مبتسِّمًا وهو يقلب الأواراق بسرعة فكتمت صرخة بداخلها "تريد التخلص مني بسرعة فيخلو الجو لك مع حيَّتك تلك!"

كانت تلك أفكارها التي قطعها هو بنبرة مرحة:

- لا حاجة لي بتدقيقها، أنا أثق بكِ وأعلم أن عملكِ لا غبار عليه.

والأخرى تراقبهم في صمت مستمتعة بغضب تلك المدعوة خطيبته والذي تحبسه بداخلها، وهي متأكدة من هذا، وتوتره هو فور دخولها لمكتبه جعلها تتفطن لأنها سببت مشكلة بوجودها، اتسعت ابتسامتها لكن تلك المرة بسخرية، رغم طبيعة بعض الرجال واستمتاعهم بإعجاب النساء بهم إلا أن أنثىً وحيدة تقلب أمورهم في لحظات معدودة فيتحول من ماكر لعوب مستمتع إلى طفل صغير مذنب أمسكته والدته يخالف أوامرها.

اعتدلت في جلستها وزفرت في دلال وهي تضع رجلًا على رجل ليظهر المزيد من ساقيها.

"يا إلهي هذا ما كان ينقصني!" همس بها وهو يراقب صغيرته التي لم تتحرك من مكانها، بل لم تنظر نحوه أو نحو الأخرى التي تمتمت بنبرتها اللعوب:

- هاي إسراء، ألن تلقي التحية عليَّ أم أن أرضية المكتب أعجبتكِ؟ فأنت لم تنظري لغيرها مذ وطأت قدماكِ المكتب!

لمعت عيناها وكشفت على صف أسنانها اللؤلؤية بابتسامةٍ يعلم زيفها جيدًا والأخرى كذلك، وجاءتهم نبرتها الساخرة وهي تقلد نبرة المثيرة أثارت بداخله الرغبة في الضحك:

– هاي نادين، آسفة لم ألحظ أنكِ هنا أنا منشغلة بأشياء أهم من أن ألْحظكِ.

حسناً هي كاذبة! حسناَ ستفتعل مشكلة كعادتها! فجملتها تلك حتّما ستشعل نيران الأخرى، أكثر مما هي مشتعلة!

والمشتعلة لم تتحرك بل زاد غنجها ولمعت عيناها الزرقاوان باستمتاعٍ لترتسم على وجهها ابتسامة خبيثة وازتها إيماءة رأس موافقة.

– معكِ حق، والآن بعد أن أ نهيتِ ما جئتِ من أجله، أيمكنكِ تركنا أنا وقصي لوحدنا؟ فالكثير من الأعمال في انتظارنا.

وبرودتها وصلت إليه وجمَّدت أوصاله، بل جمدت ملامح الصغيرة لكن سرعان ما عادت لسخريتها ُمتبعِةً كلامها بغمزة:

– حسناً عزيزتي لكِ هذا، عن إذنكما.

وآخر كلمة كان لقاء عينيها البنيتين وعينيه الرماديتين في حديثٍ بارد، وهو علم بالكارثة.

الأنثى عند الغضب تصرخ، تعاتب، تكسر وربما تضرب! وصغيرته عند الغضب يكون رد فعلها غمزة!

وهو قد نالها بحديث العيون ذلك وبرودها بات مخيفًا.

ظلَّ شاردًا بباب المكتب المغلق للحظاتٍ قطعتها عودة المثيرة إلى أمامه، وهذه المرة استقرت أناملها على فخذيه فاستقام متوتّرا، بل بات كارهًا لنفسه منذ أن لمح برود حبيبة قلبه، أي حبيبةٍ يا قصي تلك التي لا تعمل لها اعتبارًا

عقدت حاجبيها في تساؤل وخرجت نبرتها المتسائلة بخبث:

**– ما بكَ قصي؟ خطيبتك لم تعد هنا وحتى لو كانت هنا أظنها اعتادت الأمر.**

**وجملتها ألجمته، ألهذه الدرجة تستحمله؟! ترى كل تصرفاته الغبية وتستحمل علاقاته الكثيرة رغم أنه لم يتعدى لمسةً من يده.**

**سخر من نفسه بعتاب "هه، لمسة يد! وهل الخيانة باللمسة فقط! أنت تخونها بكسرك لها كل يومٍ وأمام عينيها."**

**زفر في ضيق وتمتم دون أن ينظر نحوها:**

**– أرجو منكِ الذهاب الآن آنسة نادين، وسأطلبكِ فور أن أُنهي الأوراق.**

**أومأت موافقةً وتقدمت نحوه بخطواتٍ مغوية وهي تلمس ياقة قميصه:**

**– يمكنكَ الاتصال في أي وقتٍ قصي، وستجدني هنا.**

**اهتز بدنه كمن لسعته الكهرباء، أو حية! أبعد يدها عنه بعنفٍ وهو يتمتم بقلة صبر:**

**– لا أرى سبباً لأتصل بكِ غير بحثكِ، أرجو منكِ الذهاب فالعديد من الأعمال تنتظرني.**

**مطّت شفتيها متصنعةً الضيق وأومأت له قبل أن تنسحب، وما إن أغلقت الباب خلفها حتى تمتمت بسخرية:**

**–كلكم واحد؛ الرجال لا يختلفون.**

***

الأنثى في نظر بعض الرجال تداويها كلمة ولمسة حنون، وهي ليست كأي أنثى، هي الصغيرة المتمردة التي لا تكفيها الكلمات ولا تتقبل اللمسات مهما كانت بريئة!

زفر في ضيق وهو يفتح باب مكتبه، واتجه إلى المدرج بحثاً عنها، عن صاحبة الغمزة!

الدكتور الوسيم يكاد يركض ويصطدم بكل شخص في طريقه، الوسيم متوتر!

الوسيم عينه خائفة، متوترة وهي تبحث عنها في جميع ممرات الجامعة، لكن لا وجود لها!

الهاتف اللعين مغلق، لا وجود لها في قاعة المحاضرات، وصديقتها الغبية التي تكرهه بشدة كان ردها عن سؤاله عنها زم شفتين ونظرة متقززة منه وهزة رأس بمعنى لا أعلم، واللعنة على صديقتها وعلى أنامل الحية بل عليه هو الوسيم العابث!

"سحقا لك!"

وانفجر بجنون في وجه الطالب المسكين الذي سكب قهوته على ثياب الدكتور الذي يبدو مجنوناً، فقد تم تدمير قميصه ناصع البياض وبذلته السوداء الفاخرة.

وكأن هذا ما ينقصه!

بعد دقائق يائسة من البحث عنها توقف يشبع صدره بالهواء لعله يستطيع التفكير، يعلم أن عند غضبها تفضل البقاء وحيدة ومنعزلة عن الجميع، فجنونها لن يتحمله أحد، وابتسم مجرد أن خطر بباله ذلك المكان: مكان اللقاء.

أول أيام السنة الجامعية الجديدة والعابث متشوق لمغامراته العديدة والمثيرة، تم تكليفه بتدريس السنوات الأولى واللعبة صارت ممتعة، فور وصوله قرر الإتجاه إلى مكانه السري والمكان الوحيد الخالي من طلاب الجامعة، اقترب قليلًا ليحتل مسامعه نحيب رقيق وشهقات شبه مسموعة، والباكية أنثى.

ابتسم بخبث وهو يتوجه نحو الصوت وخياله يصور له كيف يمكن مساعدتها والتخفيف عنها، ربما ضمةٌ إلى صدره الدافيء فيغرقها بالحنان، وربما لمسة يدٍ تتحول لجولة في طول ذراعها، وربما قبلة!

اتسعت ابتسامته وهو ينحني تحت تلك الشجرة القصيرة التي كان يختفي خلفها دائمًا حين كان طالباً بنفس هذه الجامعة التي أصبح دكتوًربها، لكن الطالب والدكتور لم يحدث تغيير بينهما؛ فالجنون واحد والخيالات الواسعة والدافئة واحدة!

اقترب بخطواتٍ متمهلة نحوها لتظهر خلف أوراق الشجرة الضخمة: رقيقة، صغيرة، جسم ضئيل، وملابس واسعة محتشمة، تبدو مختلفة وشهية!

لمسة على الكتف تُدعى تربيتة وعنده بداية متعة، ونال ما لم يتوقعه؛ استدارة سريعة ولكمة يدٍ صغيرة. صغيرة! لكمتها أقوى من لكمته هو!

أحسَّ بدوارٍ وسائل ساخن ينحدر من أنفه، واللون على يديه أحمر، إنه دم!

اتسعت عيناه وهو يراها تقوم من مكانها ونيران الغضب تنفجر من مقلتيها البنيتين، والنبرة زاعقة بصوتٍ بدا له لحناً رِغب بمراقصتها عليه.

نال لكمة خدرت أنفه ولا يزال خياله منتعشًا! ظل يحملق بها وهي تصرخ به:

- كيف تتجرأ على لمسي هكذا، بل الإقتراب مني في مكانٍ خالٍ كهذا!

ابتسم لصورتها الكارثية؛ خصلاتها البنية الهاربة من طرحتها، ودموعها المنهمرة على وجنتيها الحمراوين، وشفتيها المزمومتين بغضبٍ ارتسم على ملامحها الطفولية، وعادت نبرتها تحسر تأمله لها:

- هل أنهيت تأملك هذا أم لا يزال شيءٌ أعرضه.

ولسانها طويل!

**استند على ذراعه ليقوم من الأرض، وتراجعت هي للخلف كأي أنثى، خافت.**

**اقترب منها بخطواتٍ ثابتة متمهلة وعيناه الزرقاوان تضيقان بنظراتٍ متفحصة، تجاهل دموعها التي لم تتوقف وزاد من قربه ليحتل عطره أنفها وأرغمها على استنشاقه ليتغلغل بداخلها، وارتعشت رغمًا عنها.**

**أحسَّ برجفتها فلمعت عيناه بانتصارٍ وهمس قرب أذنها:**

**- هذه اللكمة لن أنساها ما حييت.**

**ثم رفع كفه يتحسس أنفه الذي ينزف وثبَّت نظراته مباشرةً بنظراتها التي تبدو ثابتة وقوية رغم اهتزاز الدموع بهما:**

**- سأظل أتذكر هذا الألم طوال حياتي، ألمٌ لذيذٌ جدًا.**

**ونال حمرة الوجنتين واشتعال المقلتين، يكاد يجزم أن نيرانها لفحت بحر عينيه فتبخر في لحظاتٍ شبه معدومة، ومع لمعة عيناها نال غمزة!**

**مهلًا غمزة!**

**نظر إليها في استغرابٍ ليبتعد عنها قليلًا وهتف مستغرباً:**

**- هل غمزتِني للتو!**

**ارتبكت وعدَّلت طرحتها لتحمرَّ وجنتيها، حقًا ما بالها هذه الصغيرة!؟ تضرب وتصيح، تبكي وتخجل والآن تغمز بعد الغضب ثم ترتبك!**

**مسحت دموعها بظهر كفها سريعًا وحملت حقيبة ظهرها وكادت تنصرف صامتةً فأوقفها ضاحكًا:**

**-مهلًا! حقًا أريد أن أعلم هل غمزتِني حقًا أم كانت مجرد تخيلات!**

أغمضت عينيها تستدعي الصبر واستدارت اتجاهه ترفع سبابتها في وجهه، وأخيًرا اشتعلت لينال هو ويرتوي من غضبها الذي بات ممتًعا وأنساه ما جاء من أجله:

– اسمع يا هذا، أنا لا أملك وقتاً لتفاهتكَ هذه، وإن كنت ترى نفسكَ ظريفًا وأن شكلكَ الجميل قد يجعلني كغيري منبهرة فأنت مخطئ، مخطٌئ كثيًرا.

اتسعت ابتسامته ووضع يديه بجيبه هامًسا بمكر:

– هل تغازلينني الآن أم ماذا؟

هي منهارة وهو يمزح! بل يزيد غضبها وهي لن تستحمل، زادت من قربها له دون أن تعير ابتسامته المستمتعة انتباها.

– من كل كلامي لم تنتبه سوى لهذه الكلمة! يا إلهي أنت فظيٌع حقًا!

هزَّ كتفيه مدعياً البراءة:

– أنا لا أهتم سوى بالمهم، وأنتِ تغازلينني وأنا معجبٌ بهذا.

زفرت في ضيقٍ وهي تبتعد عنه بخطواتٍ سريعة:

– أنت حقًا شخصٌ بارد وأحمق، محاضرتي أهم من كل هذا الغباء وأنصحك أن تذهب لفعل شيٍء مفيد.

– أي محاضرة؟

هتف بها قبل أن تختفي لتجيبه ببرود.

– لا شأن لك.

أفاق من ذكرياته حين وصل لمكانهما السري، وكما لو أن نفس اليوم يتكرر فها هو بكاءهُا يصل لمسامعه لكنَّ سنةً مرت وتغير بها الكثير.

قلب العابث الميِّت أضحى يخفق بالحياة من أجلها، هي التي دون غيرها جعلته يؤمن بالحب، ولكن هل حبه لها يكفي؟!

نفس الموقف لكن ما تغير هو أن قلبه يتألم لبكائها، فهو يعلم أنه السبب في آلام قلبها الصغير الذي وعد والدتها أن يصونه ويحل محل الأب المتوفي فيحميها ويكون سندًا لها، لكنه أخلف بالوعد وجرح براءتها وحبها له.

تقدم نحوها بخطواتٍ بطيئة ومع كل تقدمٍ نحوها تزيد خفقات قلبه المتألمة من أجلها، ابتسم حين تذكر تلك اللكمة لكنه حتًما لن يعيد خطأه فينال ما هو أسوأ من اللكمة، همس بِاسمها ونبرته يغلفها الندم:

– إسراء.

وارتعش جسدها فمدَّت أناملها تمسح دموعها ولم تردِ، فجلس أمامها يستند بظهره على الشجرة ليكمل شاردًا:

– أنتِ غاضبة أليس كذلك؟

مالت شفتاها بابتسامةٍ ساخرة، غاضبة! ليت ما بداخلها كان غضباً، هي قد خاب ظنها وتعتبر نفسها فاشلة، ربما امتلكت قلبه لكن ماذا عن إخلاصه!

الحب حتى لو وصل أعلى مراحله يظل الإخلاص أساسه، وهي فشلت في الحصول عليه.

لاحظ صمتها فتابع وهو يمسك بكفها الصغير، فانتفضت وأبعدت يده عنها ليهزَّ رأسه في يأس:

– إسراء، أنتِ تعلمين أنِّي أحبكِ أنتِ ولا أرى غيركِ ولا أرغب في غيركِ.

ابتسمت بشحوب وهي تنظر إلى عينيه بانكسار! وقلبه عندها تحطَّم آلاف القطع، لن يستطيع جمعها فانكسارها دمره.

تجاهلت نظراته التي تكتسي بالندم وتساءلت بنبرة باردة:

– وماذا بعد؟

نبرتها أرعبته، يخاف فقدها ولا يتخيل أنه سيخسرها، هي الوحيدة التي خفق نابضه من أجلها ولن يتحمل البعد عنها. لاحظت شروده وصمته، تُريد التراجع عما قررت، تعشقه نعم وتعلم أنه يعشقها وربما أكثر لكن يجب أن تبتعد، أن تعطيه فرصة التغير وعليه أن يقبل ويتغير من أجلها، لو كان حقًا يحبها سيفعل.

ظلت شاردة بملامحه التي بدت كملامح طفلٍ خائف، خصلاته السوداء التي تتخللها بعض شعيرات الشيب فزادت شبابه هيبة وجاذبية، سُمرة بشرته التي تتلاءم بشدة مع زرقة عينيه التي أَسَرتها، يعضُّ شفته السفلى بتوترٍ جعلها تبتسم رغمًا عنها، ومن بين دموعها همست بنبرة متحشرجة:

– نحتاج للابتعاد قصي.

كما لو أنها أطلقت على قلبه رصاصة مسمومة تخلل سُمها في جسده فآلمته بلا رحمة، تطلب الفراق! كيف سيعيش من غيرها، بل كيف ستعيش هي من غيره، هي طفلته ومسؤوليةٌ كلف نفسه بها منذ أن علم بأن سندها فارق الحياة قبل أشهر قليلة من بداية دراستها الجامعية، وحنينها إليه هو سبب بكاءها في أول لقاءٍ لهما.

استدار بجسده ناحيتها وهتف بها في ألم:

– أتريدين أن نفترق يا إسراء؟ ستتركينني؟ بعد كل هذا العشق بيننا!

كتمت شهقاتها وهي تهز رأسها نفياً، حبست دموعها وهتفت بدورها لتُخرج كل ما في صدرها:

– يجب أن نفترق على الأقل فترة، أنا لم أعد أستطيع التحمل، كرامتي تُذبح كل يوم، أنوثتي تُهان وثقتي بك ستتدمر، لا أستطيع الاستمرار هكذا، أنت تُدمِّر كل ما بيننا، عليكَ أن تتغير، أن تقلع عن عاداتك التي تقتلني كل يوم. أنت تنسى أنني خطيبتك، تضحك مع هذه وتسمح لتلك بأن تغازلك والآن جالسٌ مع حية في مكتبك وتدعها تطردني وأنت تتفرج! أي امرأةٍ ستتحمل هذا؟! ما الذي سيضمن لي أنكَ لن تخونني وأنا زوجتك؟!

جملتها الأخيرة كانت بمثابة صفعة! تخاف منه؟ أيعقل أن تظن أنه سيخونها يومًا ما وهي زوجته!؟

ابتلع غصته ونكس رأسه في ألم، أشفق له قلبها لكن لا، هي لن تستسلم، ستسعى لتغييره ليس لأجلها فقط بل لأجله هو، حتى لو أنها لن تكون ملكًا له، تريده أن يصبح الأحسن؛ فهو يستحق حتى لو كان الأحسن ومن غيرها.

رفع عيناه نحوها كطفلٍ يتشبث بآخر أمل:

– أتعدينني بأنكِ لن تكوني لغيري؟

أومأت له تبتسم من بين دموعها وهمست:

– أجل أعدك.

– وستعودين لي فور أن أتأدب كما تقولين دائمًا؟

ضحكت بخفوت وأومأت بنعم، وزاد انهمار دموعها ليبتسم في قلة حيلة تحولت لمكر:

– حسناً، أعدكِ أن أكون ولدًا بارًا ومؤدباً ولن أغازل أي فتاة، مع أن هذا سيكون مؤلمًا.

شهقت ولكمته بقوةٍ على كتفه وهتفت به:

- يا إلهي أنت لا تُطاق حقًا!

تعالت ضحكاته حتى هزَّت داخلها فكادت أن تتراجع عمَّا قالته، لكنها سرعان ما عادت تدَّعي الجدية:

- حسناً أظن أن عليكَ الذهاب الآن.

اختفت ابتسامته وزم شفتيه بطريقة طفولية:

- ألن تتراجعي؟

هزت رأسها نفياً:

- أبدًا.

تنهد مطوَّلًا وحسم الأمر بداخله، من أجلها سيتغير وسيضع الحدود يرسمها واضحةً فلا تقترب أي أنثى، حتى لو اضطر أن يكتب على جبينه أنه مِلك لها وحدها.

تحامل على نفسه ونهض من أمامها، رفعت رأسها نحوه وعيناها تتشبثان به، تضعف فتحتار ثم تعيد حسم أمرها، لابد من نهاية كل شيءٍ يُسيء لعلاقتهما.

ابتسم لتغير ملامحها كل لحظة فعلم الصراع بداخلها فهي تتألم أكثر منه، مال نحوها وهمس بشقاوة:

- ألن تغمزي لي؟

احمرت وجنتاها وهزت رأسها رافضة:

- تعلم أن تلك الحركة أقوم بها بغير إرادتي.

ضحك منها وهز رأسه موافقًا:

– أجل أعلم هذا جيدًا، لقد أضحكني الأمر في أول لقاءٍ بيننا، يوم اللكمة أتذكرين؟

اتسعت ابتسامتها حين عادت لها الذكرى:

– كيف لا أفعل، لقد كنت عَدوي اللدود يومها وطيلة الأشهر بعدها حتى...

بترت عبارتها في خجلٍ فأكملها هو في مكر:

– ماذا؟ حتى عشقتِني؟

زاد احمرار وجنتيها فعقدت حاجبيها بجدية مصطنعة:

– قصي لقد اتفقنا أن نبتعد وأنت تخالف الاتفاق، اذهب الآن هيا.

أرخى كتفيه وعاد يستقيم في وقفته:

– حسناً سأذهب الآن، لكن عديني أنكِ لن تتأخري عنِّي.

ابتسمت له برقة:

– أعدكَ، عِدني أنتَ فقط أنك لن تُخيب ظني مرة أخرى.

وضع كفه موضع قلبه وهمس لها مع غمزة شقية:

– أعدكِ حبيبتي.

وصمتت الشفاه لتتكلم العيون، عيناها تتشبثان بملامحه مترجيةً ألا يخيب أملها به، وعيناه تعدان وتقسمان على الوفاء مهما طال الفراق، والعشق بينهما شاهدٌ على وعودٍ وآمال ستتحقق وتحيا.

تركها مع قلبه المتعلق بها وحدها، هي مليكة قلبه وصاحبة السلطة عليه، نبضاته لها وأحلامه أيضًا، هي أميرته.

وأميرته تعشقه حد الإدمان لكن إدمانه بات مؤلّما مع غياب الوفاء الكامل، تعلم أن قلبه ملك لها، لكن القلب وحده ليس كل شيء.

مسحت دموعها واسندت رأسها على جذع الشجرة تتذكر يوم اكتشفت أنه أستاذها الجامعي، كان قد مر على أول لقاءٍ بينهما ثلاثة أيامٍ وجاء ميعاد مادتها المفضلة: الاقتصاد، وحديث زميلاتها يقتصر على خبر واحدٍ، أكثر الأساتذة وسامة وأصغرهم هو من سيدرسهم.

هزت رأسها في يأسٍ وسحبت يد صديقتها علياء لتبتعد عن الجمع الذي لا يكفُّ عن مدح جمال أستاذ المحاضرة وجاذبيته، جلست مكانها وهي تتمتم بضيق غافلةً عن بطل أحلام فتيات الجامعة:

– ما بهنَّ هكذا؟! ألا يسأمن من التغنِّي بجمال ووسامة هذا الدكتور اللعين؟! لقد كرهته حتى من قبل أن أراه.

بادلتها علياء الحديث بهمس:

– اهدئي إسراء، الدكتور دخل المدرج وينظر نحونا مبتسًما، ما باله هذا!

رفعت رأسها فجأة لتلتقي بتلك الأعين التي تعرفها جيدًا، وكيف لها أن تنسى مقلتين كتلك؛ زرقة تغلف نظرات وقحة وماكرة والآن يختصها بها وحدها!

احمرت وجنتيها وهي تتهرب من نظراته فتنظر في كل مكانٍ سواه وهو مستمتع، بل زاد تحمسه في إلقاء محاضرته على هذه المجموعة التي باتت المفضلة عنده منذ هذه اللحظة، لاحظت علياء توترها فتساءلت:

– ما بكِ الآن؟ لَم تبدين متوترة؟

هزت رأسها بلا معنى وهي تدَّعي تصفح كتابها الخاص:

– لا شيء، دعينا نركز فيما جئنا من أجله الآن.

أومأت لها صديقتها موافقةً، أمَّا هي فظلت تنظر إلى كتابها ووجنتيها تشتعلان خجلًا وغضباً بسبب إحساسها بأن عيناه تنهش ملامحها الآن، وفي وسط تفكيرها قرر هو نيل نظرة منها واستمتاعٍ باشتعالٍ ظل يشغل باله طوال الثلاثة أيام السابقة، تنحنح مكانه وبنبرة علمت هي وحدها ما معناها فقد خصها بها وحدها:

– السلام عليكم، أنا قصي رضوان دكتور الاقتصاد الجزئي، أتمنى قضاء سنة جامعية جيدة برفقتكم وتُكلل بالنجاح وأتمنى أن أنال إعجابكم.

ونال منها اتساع عينين وافتراق شفتين دليلًا على دهشةٍ تملكت منها، وهي نالت غمزة لم يَرها سواها وبنبرة مشاكسة وضَّح وعيناه لا تفارقانها:

– أعني أن تُعجبو بأسلوبي في التدريس.

زمَّت شفتيها في ضيقٍ وعادت تدَّعي التركيز في كتابها، ليعيد قطع تفكيرها ويرغمها على النظر نحوه.

وبدأت السنة الدراسية وأول دروس الاقتصاد مادتها المفضلة وأول خطوات لعبته المفضلة؛ الحصول على قلب أنثى، وأنثاه هذه المرة تُحرك به أشياء لم يكن يعلم بوجودها من الأساس.

ابتسمت بشوقٍ لذلك اليوم، ولو قيل لها أنها ستقع في حب أستاذها المتعجرف لما صدقت.

***

قيل لو لم يزدك البعُد حباً فأنت لم تحب قط!

هل يوجد إحساسٌ أكبر من الشوق ليكون اسًما لما يشعر به؟ الشوق كلمة لا تكفيه أحرفها، تبدو جافة خالية من المشاعر التي تزلزل كيانه، لقد تعدَّى مرحلة العشق بكثير، الآن وبعد مرور شهرٍ على بعُدها هو يعترف بأن تلك الصغيرة قد تمكنت منه كُلياً، فرق تسع سنوات! أين تلك التسع وهو بات يراها أُما له وهو رضيع لا يستطيع التخلي عنها أو تخيل يومه من دونها، شهر لم يكُلم أي أنثى بنبرته المرحة التي اعتادها سوى والدته ووالدتها التي يكُلمها كل ساعة تقريباً عندما يكون متأكدًا أنها دخلت البيت.

وعلاقاته مع الطالبات وزميلاته باتت شبه معدومة، فلم يعد يكُلم أحدًا سوى من أجل الدراسة أو خدمةٍ ما عليه إنجازها والأمر بسيط، هي تستحق أن يتغير من أجلها، أن يبادل إخلاصها بإخلاصٍ يخصه، تنهد مطولًا قبل أن يضع رأسه على سطح مكتبه ويشرد إلى ذكرى لن ينساها، ذكرى ظهرت غِيرته وخوفه الشديد عليها ليتهور ويقُدم على أكثر التصرفات طيشًا لكنها حملت أهم قرار وتغيُّر صاب حياته.

مرَّت ثلاثة أشهر وامتحانات نصف العام قد بدأت، ثلاثة أشهر تغيَّر بها الكثير، نبضات قلبه التي تتسارع كلما لمحها تبتسم وتشاكس إحدى صديقاتها، ثم تتلون وجنتاها بلون الخجل حين تكتشف أنه ينظر لها، والكل اكتشف أن الأستاذ الوسيم وقع في حب طالبته الصغيرة.

قصة حبٍ باتت موضوع حديث الجميع وانتقلت العبارات بين وجود علاقة هي سر نجاح طالبته العزيزة، عطاء بسخاء والمقابل نجاح في الامتحانات ويستمر الأمر في كل امتحان.

كان يجلس بمكتبه منشغلًا بإحدى بحوث طلَّابه حين سمع دقات خفيفة على باب مكتبه فأذن للطارق بالدخول، وكانت هي ومنظرها الذي لا يبشر بالخير، دموعها المنهمرة من عينيها الحمراوين إثر البكاء ورعشة بسائر جسدها، اقترب منها بخطواتٍ مسرعة ومد يده ليطمئن لكنها أوقفته بإشارة من يدها ونبرة خرجت متحشرجة:

- لا تلمسني أرجوك.

ابتسم برقة وظل صامتاً فأشار لها بالجلوس فأطاعته، وما أن جلست حتى تساءل بقلق:

- ما الذي حدث إسراء؟ لَم البكاء؟

تعالت شهقاتها فاقترب منها:

- ما الذي حدث؟ ما بكِ؟

مسحت دموعها وهي تحاول جاهدة كتم شهقاتها، تُثير به العديد من التساؤلات والحيرة، هي أنثى جمعت بين كل شيء وأجمل شيء؛ بريئة ونقية، روحها تشبه اللؤلؤ في صفاءه ونقاءه، ظل ينظر لملامحها الحزينة الممتزجة بالخجل فخمَّن أن ما جاءت من أجله ربما يُخجلها، وقرر رفع الحرج عنها:

- لا تخافي ولا تخجلي، هيا أخبريني ما الذي حدث؟

ظلت صامتة لثوانٍ قبل أن تهمس بأنفاسٍ متقطعة:

- لقد سمعت أن الطلاب يتكلمون... عني و... وعنك...

عقد حاجبيه وحثَّها على الإكمال:

- ما الذي كانوا يقولونه؟

تابعت قبل أن تنفجر باكيةً واضعةً وجهها بين كفيها:

- أشياء سيئة، سيئة جدًا تمسُّني وتمس سمعتي وسمعتكَ.

ابتعد عنها عاقدًا حاجبيه في غضبٍ، ودموعها التي لا تتوقف كشهقاتها تُمزق نياط قلبه وتقطع أنفاسه التي باتت تحرقه، دار حول نفسه بضع لحظات قبل أن يتوقف فجأة ويقرر بقلب سئم الانتظار.

– سأخطبك.

اتسعت عيناها بغير تصديق لما سمعت وهتفت به منتفضة من مكانها:

– تخطب من؟ لا مستحيل لن أسمح بهذا.

ابتسم لها يطمئنها:

– لن أخطبك من أجل إسكاتهم، بل من أجلي ومن أجلك، فأنا...

صمت يراقب خجلها وتوترها وابتسم هامسًا بنبرة جعلت أوصالها ترتعش:

– أنا أعشق طالبتي الصغيرة حقًا.

زاد توترها فانتفضت من مكانها وحملت حقيبتها لتهرول خارج مكتبه، تاركةً إيَّاه يقف مبتسمًا وهو شاردٌ بمكان جلوسها، من يصدق أنه قرر الزواج، الارتباط وأن يكونِ ملك أنثى، وهو بات يعشق أنها تمتلكه ويتمنى لو أن يدوم امتلاكها له لآخر العمر.

زفر في ضيق حين خرج من ذكرياته الساحرة معها، ألقى بالقلم على سطح مكتبه، لم يعد يستطع تحمل البعد عنها أكثر من هذا.

في الحب ضعف الرجل يكون أُنثاه، وقوة الأنثى تكون رجلها.

في الحب تُكمل الأنثى الرجل، ويحمي الرجل الأنثى، فيكون لها السند واليد التي تمتد لها وقت الحاجة.

في حبهما: هو احتواء أبٍ وهي رقة وشقاوة طفلة، طفلة عشقها حد الجنون ولن يعقل حتى تكون ملكًا له، ويثبت أنه يستحقها ويستحق قلبها الساكن بين ضلوعه هو.

يعلم أن اليوم إجازة وليس لديها محاضرات، ابتسم بخبث لتلك الفكرة التي خطرت على باله فترك كرسيه خلف مكتبه وخرج بخطوات سريعة وعيناه تلمعان في عشق.

***

هل عندكِ شكٌّ في َمن أنتِ

يا من تحتل بعينيها أجزاء الوقت

يا امرأةً تكسر حين تمر جدار الصوت

لا أدري ماذا يحدث لي

فكأنكِ أنثاي الأولى

وكأني قبلكِ ما أحببت

وكأني قبلك ما مارست الحب... لا قبَّلت ولا قُبِّلت

ميلادي أنتِ... وقبلكِ لا أذكر أني كنت

وغطائي أنتِ... وقبل حنانك لا أذكر أني عشت

وكأنني أيتها الملكة

من بطنكِ كالعصفور خرجت

هل عندكِ شكٌّ أنكِ جزء من ذاتي

وبأني من عينيكِ سرقت النار

وقمت بأخطر ثوراتي

نزار قباني

الأنثى: أعظم القادة في معارك الحب، هي الصبر، التضحية العطاء والبقاء، حياة لا يكتمل الرجل إلا بها.

هي حاربت بكل قواها طوال سنة، تجاهلت، تفهمت وثقت وأمَّنت، لكن متى يقوم هو بخطواته نحوها؟

يريدها؟ تعلم علم اليقين أنه يعشقها كما لم يعشق رجل امرأة من قبل.

يحتاجها؟ متأكدة، بل لمست جزءه الصغير بداخله، حيث يمكث ذلك الطفل الصغير المحتاج للمسةٍ حنون وتربيتة يدٍ ومسحةٍ على الجبين فينسى التعب.

الصبر: صبرت وتناست وتغافلت، بل ادعت الغباءمأم نظرات كل امرأةٍ تقترب منه بمكر، وهو لا يوقفهن بل يستمتع وهي تموت وتصبر.

التضحية: ضحَّت بكبريائها وِعنِدها من أجله هو فقط، أحبَّته فضحَّت بكل مبادئها، خُطتها كانت الدراسة ثم العمل لرعاية أم مريضة وأخت صغيرة لا تزال الحياة طويلة أمامها، ومن أجله هو غيرت المسار لتضع تلك الحلقة الذهبية التي تعلن أنها ملكٌ للعابث.

العطاء: كل ما امتلكته كان قلبها الصغير الذي علَّمه هو السير في أروقة العشق، وعشقه بات الوطن لديها فأعطته كل ما امتلكت ولو طلب روحها لما بخلت.

وبقاءها رغمًا عنها بات صلعبيًقتل كرامتها ويجرح كبرياءً تخلت عنه من أجله، والآن بقاءها معه هو وحده من سيحدده.

تطلَّعت إلى الصغيرة ملك بحنان وربتت على خصلاتها القصيرة، مدت يدها للأوراق أمامها وهي تزم شفتيها مدعية الضيق.

- ملك، ما هذا؟ لقد اتفقنا أن تكتبي الأرقام وحدها والحروف وحدها.

ابتسمت لها الصغيرة بشقاوة وعادت لتنهي واجبها المدرسي، فابتسمت لها وهزت رأسها في يأس.

دلفت إلى المطبخ حيث والدتها بابتسامة باهتة، وجلست على الطاولة تراقبها بشرودٍ لاحظته الأم على الفور، فتقدمت نحوها وجلست تربت على كفها:

– ألا تزالين مبتعدة عنه؟

اومأت لها بنعم:

– أجل، لقد مر شهر.

ابتسمت لها بحنان:

– ألا تعتقدين أن العقاب يجب أن ينتهي؟

بادلتها ابتسامتها بأخرى شقية:

– لا، أريد أن يعرف قيمة ما يمتلك، دعيه يتعذب قليلًا.

هزَّت والدتها رأسها في يأسٍ من ابنتها وتمتمت قبل أن تنسحب:

– أعانه الله عليكِ وعلى عِندكِ هذا، سيجُن، أنا متأكدة.

لمعت عيناها بحبٍ وهي تتذكر نظراته الحزينة والمشتاقة نحوها فتتهرب هي مدعية الاهتمام بكل شيءٍ غيره، ترى الندم في عينيه فتضعف وترغب في إنهاء العقاب، لكن حبها يحتاج للصبر وللتضحية بالبقاء معه من أجل حياةٍ ختامها إلى الأبد.

اتسعت ابتسامتها فور تذكرها يوم طلب الزواج منها، كان يومًا شاقًا عليها وضغوط نفسية عانتها بسبب القيل والقال ونهش عرضها بادعاء وجود علاقة غير شرعية بينها وبين أستاذها الشاب، دلفت إلى بيتهم الصغير فلفتها صوت ملك الضاحك فرجحت أن والدتها تلعب

**معها، لكن وقوف والدتها أمامها مبتسمة بسعادة جعلها تعقد حاجبيها في تساؤل خرج من بين شفتيها:**

**– هل عندنا ضيوف؟**

**أومأت والدتها برأسها والدموع تتجمع بمقلتيها، فاقتربت منها بتوتر لمظهرها، أيعقل أن تلك الشائعات قد وصلت لبيتهم؟ لكن سرعان ما نفضت تلك الأفكار من رأسها فلو كان تفكيرها صحيحًا لَم ترى والدتها سعيدة؟!**

**وضعت حقيبتها لتتقدم أكثر نحوها:**

**– من هنا أمي؟**

**– هذا أنا.**

**اتسعت عيناها دهشةً وهي تلمحه يخرج من غرفة الجلوس خاصتهم بابتسامته الساحرة ونظراته الماكرة نحوها، يحمل الصغيرة ملك بذراعٍ واحدة وهي تتشبث بعنقه فهتفت بمرح:**

**– إسراء عمو أحضر حلوى لملك.**

**ابتسم لها وقبَّل وجنتها أمام تلك المصدومة أمامه، ظلَّت شفتاها مفترقتين لوهلةٍ وهي تراقبه يقبل الصغيرة، هو حقًا يؤثر بكل أنثى مهما كان سنها! نظر إليها بمكرٍ يقصد به رؤية خجلها ونال ما أراد، لكنها سرعان ما أفاقت من صدمتها لتتساءل بفظاظة:**

**– ما الذي تفعله هنا؟!**

**اتسعت ابتسامته ليقترب منها ومن والدتها التي أمسكت بملك وهي تراقبه يقول بأدبٍ جعل صغيرتها تنظر إليه في دهشة:**

**– آنسة إسراء، لقد أخبرتكِ مسبقًا بأني أريد التقدم لأخطبكِ وأنا جادٌ فيما قلته.**

**ظلَّت تنظر إليه غير مصدقة، في حين تابع هو وقد اتجه بنظره إلى والدتها:**

**– وفي نهاية الأسبوعِ سأحضر والدي ووالدتي للتقدم بشكل رسمي.**

**تفحصته والدتها للحظاتٍ قبل أن تصرح وهي تنظر لصغيرتها بحبٍ وثقة جعلته يحس بمدى عمق العلاقة بينهم مما جعله يبتسم لها:**

**– القرار يخص إسراء، أنا معها في أي قرار ولن أعارضها سواء قبلت بكَ أم رفضتك.**

**هزَّ رأسه بتفهمٍ ثم نظر لمالكة القلب مطوَّلًا ليستمتع باحمرار وجنتيها، وبخبرته في عالم النساء حتى لو كانت هي الاستثناء والمميزة بين كل من عرف، قلبه أخبره بردِّها لكنه قرر إمهالها بعض الوقت للتفكير فقال بنبرة جادة أراحتها:**

**– وأنا لن أضغط عليها بشيء، فلتفكر على مهلها وأنا أنتظر ردها بفارغِ الصبر.**

**نظرت نحوه بخجلها المعتاد، دقات قلبها تكاد تصرخ بِاسمه موافقةً، ونظرات الحب بعينيه تكاد تحرقها بسبب ما يبعث في نفسها، وابتسامته تلك والتي يخصصها لها وحدها دمَّرت كل من تبقى فيها من تماسك، فاتجهت إلى غرفتها بخطوات سريعة لتتفادى أي محاولة منه لإخجالها.**

**أغلقت باب غرفتها وهي تتحسس دقات قلبها الضعيف أمام عشقه، فرغم العند والهروب تمكّن منها فسلبها خافقها وامتلك كل ذرة من كيانها.**

**احمرت وجنتيها لتذكرها ذلك اليوم الذي قلب كل حياتها لتكون ملكًا له، تعيش من أجله وتتنفس عشقه، تفيق على صورته فيسكن عقلها وقلبها كل لحظة من يومها، وعند إسدال السماء ستار الليل يكون هو بطل أحلامها فتسبح معه في بحور الحب فتغرق، وهل للعاشق سبيل نجاةٍ من الغرق في بحور الغرام؟**

***

**بالنار يُختبر الذهب، بالذهب تُختبر المرأة، وبالمرأة يُختبر الرجل.**

**ويليام شكسبير**

وهل هو ناجح في اختباره؟ هل ستستطيع أنثى تغييره، تجعله يقرر اتخاذ مسار في حياته، يكون ملكًا لها، يتخلى عن طباعه التي عاش عليها فجاءت هي تدلُّه على طريقٍ واحد مستقيم لا عبث فيه.

ليس رغًما بل بإرادته، هو رغب في التغيير، فقط من أجلها هي، ألا تستحق!

بل تستحق كل شيء ولا يكفيها الكل، فلو استطاع أن يجمع لها كل السعادة في قلوب البشر وزرعها بقلبها لفعل.

تظل الأنثى هي اللمسة الرقيقة التي تلُين قلب الرجل كالنار، التي تُسخن الذهب فتصهره، ولا يوجد أحلى من ذهبٍ منصهر، وذلك البريق الذي يتصارع مع لسعات النيران، بين النار والذهب عشق.

تذيبه حباً وتلينه فيزيد لمعاناً وصفاءً يتخلله النقاء، فيضحى في أطهر حالاته وأكثرها كمالًا.

مر يومان، وقد جاء معاد محاضرته هو، لقاء الأعين واحتضان القلوب. دخلت قاعة المحاضرات متغافلةً عن هدوئها الغريب وجلست أمام علياء التي جذبتها من ذراعها بمرح:

– لماذا تأخرتِ هكذا؟!

نظرت نحوها في دهشة وتمتمت:

– لم أتأخر بل قدمت في الوقت المحدد.

اتسعت ابتسامة علياء ولمعت عيناها بشيء لم تفهمه:

– حسناً حسناً لا مشكلة، المهم أنكِ أتيتِ ولم تغيبي.

أومأت لها موافقة وهي مستغربة من حالها، لم تكن علياء بذلك الحماس من قبل، لطالما عهدتها فتاة هادئة وجدية بطريقة تكون أحياناً مستفزة.

**نفضت أفكارها وجالت بعينيها في القاعة لعلَّه يدخل في أي وقت، قلبها يشتاقه بشدة وقد بدأ الندم يتغلغل بداخلها، فإن بعُده مؤلم بل أكثر وجعًا حين تراه يضحك مع غيرها، تنهدت في حزن وأرخت كتفيها لتفتح حقيبتها وتخرج أغراضها في ملل وهدوء، قطعته ألحان ليست غريبة عنها فتوقفت فجأة واتسعت عيناها، انتشرت همهمات الطلاب منها المتفاجئة ومنها المستغربة، وهي ظلت تنظر لعلياء التي ابتسمت لها بفرحٍ وتشوق، فعقدت حاجبيها لتعلو تلك الألحان المحببة إلى قلبها.**

**أغنية طالما قال لها أنها تصفها وتصف حبه لها وعشقه المجنون بها، زاد تسارع دقات قلبها وتلك الكلمات تخترق روحها.**

**اسمي يفرق في ايه ويَّاكي**

**أنا حد عاشق ولقاكي، أنا إنسان...**

**عمري لو ألف عام في عنيكي**

**بلاقيني طفل وبلاقيكي دفا وأمان...**

**أنا عندي لعنيكي كلام**

**محدش غيري في الدنيا**

**يقوله في يوم من الأيام**

**ليكي أو لناس تانية**

**ولو كل الكلام اتقال**

**عينيكي في غربتي موال**

**هخلق منه معنى جديد**

**معنى فاق كل الخيال...**

**أنا زادي في هواكي الشوق**

**وزّوادي وأنا المعشوق**

**وانتي الشمس مهما تغيب**

**تاني تنوري الدنيا...**

**وهمشيلك بلاد الله**

**وهحكي لكل خلق الله**

**عن سيرة هوى عاشق**

**عن تايب إلى مولاه**

**انتي، انتي موجة عالية جداً**

**وبرغم إني في السباحة مش غشيم**

**بس بإرادتي غرقت فيها**

**انتي، انتي زي الأرض تمام**

**وأنا منك**

**شايلاني وأنا عايش**

**حضناني لما بموت**

**منك وليكي بعود**

**منك وليكي بعود**

**أغنية اسمي، أدهم سليمان**

ظلَّت متجمدة مكانها تستوعب ما يحدث، تعلم أنه هنالك خطبٌ ما، للأمر علاقة به ...

علت همهمات الطلاب ولاحظت نظراتهم نحوها، حسناً الأمر يبدو واضحًا بشدة، أخفضت وجهها المحترق من شدة الخجل وأخفته خلف كفيها الصغيرين فضحكت منها علياء:

– لم تري شيئاً بعد.

رفعت وجهها إليها بدهشة وهتفت:

– أنتِ... أنتِ.. لكن كيف؟!

نظرت علياء إلى مدخل القاعة ثم أشارت إليها بخبث أن تصمت وهمست لها:

– صه، الجزء الأجمل قادم.

عقدت حاجبيها في تساؤل سرعان ما كانت نبرته جواباً عنه، فاستدارت لتقابلها عيناه العاشقة وابتسمت، عميقٌ ذلك الإحساس الذي يجتاحها عند لقاء عينيها بعينيه، كل ذرة بها تعشقه.

لاحظ ابتسامتها فرقص قلبه فرحًا، تقدَّم نحوها ببطء متجهًا إليها وحدها بقلبٍ عاشق يرجو الصفح عنه، كان هو وكانت هي، غاب الكل فلم يبقَ سوى قلبيهما العاشقين، تتسابق النبضات لتضم قلبيهما.

مع كل خطوة يقتربها كانت كلماته كأسهمٍ تخترق قلبها فتعلو نبضاته المتيَّمة به:

– قبل سنةٍ كنت آخرًا الكل هنا يعرفه الدكتور قصي الصغير الوسيم، العابث! وعشيق كل الطالبات وحتى موظفات الإدراة! العازبات منهن بالتأكيد، كان قصي متهوِّرٍ مجنوناً لا ينفك عن مغازلة هذه وتلك والخروج مع الأخرى! هكذا كان قصي _قبل سنة_ قبل اللقاء، قبل قصة عشقٍ أيامها مرت سريعة لكنها شديدة العمق.

ما إن وصل إليها جثا على ركبتيه وعيناه تفترس ملامحها المتأثرة وعينيها الدامعتين، فابتسم لها بحب وبادلته هي بابتسامة مرتعشة ليكمل:

– معكِ أنتِ ولأجلكِ أنتِ خلق قصي آخر، صحيح كنت أعمى غبي أو قولي مجنون جاهل لا يعي ما يفعل، لكنكِ جئتِ وخطفتِ قلبي منذ الوهلة الأولى، منذ أن رأيت تلك الطفلة الصغيرة التي لكمتني لمجرد أني حاولت أن ألمس كتفها! أتذكرين؟

ضحكت بخفوت والدموع تنهمر من عينيها ثم أومأت له بنعم ليتابع بابتسامة متسعة:

– كانت لكمة أرجعتني إلى وعيي، لكني لم أرجع لقصي القديم، بل صرت أفضل بكثير، لقد أحببت!

ظلت صامتة في خجل وما إن أخفضت رأسها حتى مد كفه ليرفع رأسها ويواجه براءة عينيها:

– أحببتكِ أنتِ، أعلم أني جرحتكِ ولم أضع حدودًا في علاقاتي وهذا جرحكِ بشدة، وقتلني ألف مرة حين لمحت الإنكسار بعينيك، لكني أعدكِ أمام الجميع الآن...

ثم استدار للطلبة الذين يتابعونهم باهتمام وإعجاب وهتف بهم:

– أتشهدون؟

مدت يدها توقفه ووجنتاها تكاد تشتعلان لكنها وجدت الكل يهتف بنعم، فاتسعت ابتسامته وقال بمرحه المعتاد:

– حسناً الكل لديه العلامة الكاملة في هذه المادة!

وبين صفير وتصفيق وجدت نفسها منساقة خلفه وهو يسحبها معه، لا تفهم شيء! تنظر لكفها المضموم بكفه باستغراب، لم تمنعه عن الإمساك بها كما اعتادت أن تفعل!

هذه ثقة! لا بل هذا فرمان العفو عنه وقرار بداية جديدة أخرى مختلفة عن سابقتها، وهو قد خطط وقد بدأ التنفيذ.

وصل كلاهما أمام سيارته فتوقف ينظر إليها في تساؤل وإجابتها كانت حمرة خجلة غلفت وجنتيها، فطار قلبه فرحًا وعشقًا، وقطع الصمت بينهما بنبرة واثقة:

– علينا الذهاب إلى منزلكِ، أريد أن أتحدث مع والدتكِ وبعدها سنذهب إلى بيتي أنا لنكلم والديَّ.

تطلعت إليه في دهشة قابلها في مكر:

– لن أنتظر سنة أخرى، فور انتهاء هذه السنة ستكونين في بيتي ولا اعتراض.

***

بعد شهرين...

البدايات قد تبدو غريبة، مضحكة، مريبة وحتى حزينة، لكل قصة بداية، لكن هل لكل القصص نهاية؟

هنا يختلف الأمر؛ يمكن للنهاية أن تكون بداية لحياة سيعيشها أبطال القصة إلى الأبد، تجمعهم مشاعر مختلفة تمامًا عن أول لقاء، النهاية هنا أجمل من بداية القصة.

عدَّلت طرحتها وأخفت خصلاتها الهاربة منها، ثم انتقلت إلى تعديل فستانها الأبيض الذي جعلها تبدو ملاكًا كما قالت لها والدتها ووالدته، احمرت وجنتاها فور خطوره على بالها فشردت بذكرياتهما معًا.

مرَّت لحظات حتى أفاقت من شرودها على تربيتةٍ من والدته، فالتفتت إليها بخجلٍ لتقترب منها وتُقبِّل جبينها، حنونٌ هي كابنْها ورقيقة، مدَّت يدها إلى حقيبتها وأخرجت علبة حمراء فتحتها لتُخرج منها خاتمًا ذهبياً تبدو عليه البساطة الشديدة.

ابتسمت لها وأمسكت بكفها لتلبسها إياه وقالت بنبرة رقيقة:

**– هذا الخاتم معي منذ سنوات طويلة، حتى قبل أن يرزقني الله بقصي، أقسمت أن أُلبسه للمرأة التي تستحقه، أعلم أنه شقٌي جدًا وأنا أمه كنت قد فقدت الأمل أن أراه متزوجًا، لكنكِ جئتِ وأعدتِ لي طفلي قصي.**

**قالت آخر جملة بمشاكسة جعلت ابتسامة العروس تتسع، فربتت على كفها وهمست لها:**

**– أسعدكما الله وليرزقكما الذرية الصالحة.**

**تمتمت بخجل هي ووالدتها التي كانت تراقب كل شيء بعينين دامعتين:**

**– آمين.**

هل تتذكرين كيف كنتُ؟

وكيف بتُ؟

لأجلكِ!

صار القلب لحبكِ ذليلا

وكلمات الغزل لا تجد لغيركِ سبيلا

تركتُ العبث

وتخليت عن مراهقة لازمتني طويلا

أجدني أحياناً من غيركِ طفلاً يتيما

ومعكِ رجلًا كاملًا وأباً لصغيرة عنيدة

هل تتذكرين كيف كنتُ؟

وكيف صرتُ؟

وعدتكِ ولا أجد أني أخلفتُ

ولأجلكِ حبيبتي

تغيَّرت!

وسام مصطفى

****

انتهى الحفل، ذهب الجميع وصارت معه وحيدة، خجولة، رقيقة ولذيذة!

ومهما تغيَّر سيظل قصي هو قصي نفسه لكن الفرق أنه قصي معها هي فقط.

حان وقت العبث!

بخطواتٍ متمهلة دخل الغرفة وراءها، أجل هذا أدب! السيدات أولًا!

أغلق الباب خلفهما وهي ظلت واقفة وسط الغرفة المظلمة إلا من بعض الشموع المضاءة والمعطرة، رائحة الفانيليا في كل مكان، والدفء يتغلغل بداخله وبداخلها لكن السبب ليس واحدًا، هذا أكيد!

وقف خلفهامباشرةً وهمس أمام أذنها لتنتفض كلها:

- إسراء.

لم تستدر بل ظلت تُوليه ظهرها ورجلاها توشكان على خذلانها، مد يديه يمُسكها بكلتا كتفيها ليدُيرها نحوه، وهي استسلمت واستدارت؛ الشقية خجولة وهو يعشق هذا!

انحنى قليلًا لينظر إلى ملامحها وعينيها اللتين تعانقان الأرض، فابتسم بحبٍ ورفع وجهها لينال دفء عينيها، ودائمًا ينال ما يريد!

والشقية بدت له مشتعلة من شدة الخجل فقرر أن يرحمها، قليلًا فقط! اتسعت ابتسامته واقترب منها يقُبِّل جبينها ويتمتم:

- مباركٌ علينا صغيرتي.

ابتسمت في حياء وخرج صوتها هامسًا:

- مباركٌ علينا.

**ابتعد عنها بخطوة وقال في مكر:**

**- هيا اخلعي!**

**اتسعت عيناها غير مصدقة، ماذا؟! هل قال اخلعي! أجل لقد قالها ونظراته الماكرة خير دليل! زاد اتساع ابتسامته وهمس في مكر لا يقل عن ذي قبل:**

**- ما الذي فهمتهِ؟ عليكِ تغيير ثيابكِ واستبدالها من أجل الصلاة، هل نسيتِ؟**

**وتحولت دهشتها إلى غضب أشعل وجهها، ثم زمَّت شفتيها لتبتعد عنه وهي تجرُّ فستانها خلفها وتتمتم بغيظ:**

**- أنتَ لا تطاق!**

**ضحك منها وهتف بها:**

**- هل تحتاجين مساعدة؟**

**كعادتها بادلته الهتاف:**

**- فلتساعد نفسكَ هذا أحسن لكَ.**

**هزَّ رأسه واستلقى على الأريكة مبتسمًا تلك الابتسامة البلهاء! أجل تلك؛ ابتسامة العاشقين.**

**دقائق قليلة وانتهت الصلاة، هي تبكي وتشهق! ليس حزناً بل تأثُرا به وبصوته. اقترب منها بقلق ومد يديه يربُت على كتفها وهمس بخوف:**

**- إسراء ما بكِ؟ هل أنتِ بخير حبيبتي؟**

**هزَّت رأسها بنعم ومسحت دموعها ولتهمس بدورها:**

– إن صوتكَ ساحُر قصي! لم أسمع قرآناً يجُود بصوتٍ عذبٍ كهذا من قبل! كيف لم تقل لي هذا؟!

ابتسم لها وهزَّ رأسه في يأس، لقد أرعبته حقًا:

– هذا منذ أن كنت طفلًا، كنت أحسن صبي من بين الجميع، لكني...

صمت قليلًا وابتلع غصَّةً في حلقه فوجدها ترُبت على كفه لتحثه على أن يكمل، فهمس بخفوت:

– أنا ابتعدتُ عن الله كثيًرا في أيام مراهقتي، لا أدري لَم، لكنه ضعفٌ أعلم هذا لكنني ندمت! أجل ندمت كثيًرا.

ابتسمت له من بين دموعها وهمست:

– إن الله يسامحنا على أخطائنا، إنه غفوٌر رحيم، وأنت تغيرت والله سيتقبل توبتك.

هزَّ رأسه موافقًا وأمسك بيدها يساعدها على الوقوف، تسارعت دقات قلبها وهي تراقب يده التي تقترب منها لتزيل الغطاء عن شعرها، وضعه على الفراش بعناية دون أن يبعد عيناه عنها، تحسس خصلاتها البنية وهمس لها بشغف:

– لطالما تخيلت شكل شعركِ، إنه أجمل مما تخيلت.

سحب كمية لا بأس بها من الهواء الممزوج بعبق خصلاتها، وأطلق زفرةً طويلة جعلها تنظر إليه في دهشة ممزوجة بالخجل، فوجدت تلك النظرة العابثة من جديد وبداخلها تهتف:

– يا إلهي ما الذي تنويه!

ابتسم لها بمكر لفهمها نظراته ثم ادَّعى البراءة فجأة وهو يحثها إلى خزانة الملابس، فنظرت إليه بتساؤل ليهمس لها:

- ستجدين كيسًا أحمر بالداخل، افتحيه.

تقدمت وفتحت باب الخزانة لتجد الكيس الذي يقصده، فأخرجته وظلَّت تنظر إليه بتوجسٍ قبل أن تفتحه غافلةً عن نظراته الماكرة، مدت يدها لتُخرج محتواهشيءٌ أحمر، لا هذا بلون النبيذ، لم تفهم ما هو!

خيوطٌ متشابكة لم تستطع ترتيبها، ظلَّت تحاول على الأقل الوصول إلى شيءٍ به يدلها على ماهيته، مظهرها يثير الضحك حقًا وهو مستمتعٌ ببراءتها وغفلتها أن ما تمسكه ليس بسوى غلالة!

لا ليست غلالة إطلاقًا! بل خيوط متشابكة صنفت كنوع من الثياب النسائية.

وانفجر ضحكًا من مظهرها لتنظر إليه في عدم فهمٍ تحول إلى اتساع عينين وشهقة خجلة، اقترب منها متسائلًا بخبث:

- هل أعجبتكِ؟

رفعت مجموعة الخيوط بيدها لتواجه وجهه وهتفت:

- ما هذا قصي؟

اتسعت ابتسامته وسحب تلك الغلالة من بين أناملها وهمس:

- إنه فستان نوم.

زمَّت شفتيها بغضب، أمَّا هو فلا يراه سوى دعوة لقبلة!

- هل تُسمِّي هذا فستاناً قصي! يا إلهي أنت لن تتغير.

زاد قربه وتوترت هي، أمسك بكفَّيها معًا ليهمس لها بمكر:

– بلى، لكني تغيرتُ مع غيرِك وليس معكِ أنتِ، أنا زوجكِ وسأظل عابثاً معكِ أنتِ شئتِ أم أبيتِ.

ابتسمت رغمًا عنها واحمرت وجنتاها فتابع:

– أنتِ أميرتي، أمرتِ وأنا لأجلكِ تغيرت، أتريدين أن أعبث مع غيرِك؟

عجيبة هي الأنثى! في لحظةٍ_ لا بل أقل من لحظة_ تُحوِّل الخجل لعاصفة غضب! كأول يوم وأول لقاء كانت تلك الغمزة حاضرة، فابتسم، لقد حقق الهدف وأغضبها ليطلق الجنون بداخلها، ونجح كعادته!

هي فتاته صغيرته، ومروضة العابث الذي لم يعرف حباً من قبل.

الأنثى قد تكون نقطة تغيير في حياة رجل، أو نقطة بداية ما بعد الضياع، ليس ضعفًا أن تُعطي فرصة أخرى! وليس بخطأ أن تسامح قلباً تحبه، فقط تأكد أنه يستحق! وعلينا ألا ننسى، أن حواء خُلقت من ضلع آدم، حواء تكمل آدم وآدم يكملها.

**بعد سنة**

لتنال أي شيء عليك السعي إليه دائمًا، التخلي عن المعيقات التي تقف بينك وبينه حتى لو اضطررت للتغير تمامًا.

يقولون إن الحب يصنع المعجزات، والمعجزات في الحب مهما كانت صعبة فإنها تتحقق رغمًا عن كل شيء، وهو حقق أكبر معجزة كان يظن أنه مستحيل تحقيقها؛ قصي لم يعد عابثاً ولا يُكلم النساء!

**هذا تغيُّر عظيم في تاريخ البشرية، وسببه تلك الصغيرة صاحبة البطن المنتفخ والمنامة القطنية التي يصل طولها إلى ركبتيها، تلعق النوتيلا من يديها الملطختين ثم تمسك بقطعة من "المحشي" وتكدسها في فمها.**

**محشي!**

**أجل ولَم لا؟ فَمن تستطيع تغيير قصي تفعل أي شيء حتى لو كان المحشي بالنوتيلا!**

**ظل يراقبها من بعيد وهو يقرأ كتابه المفضل، أمَّا هي فمستندة على رخامة المطبخ ومع كل كمية أكل يجدها تئن وتلامس بطنها المنتفخة لتتواصل مع توأمهما القادم ياسمين وجوري، كما اتفقا على تسميتهما.**

**اتسعت ابتسامته وهو يضع كتابه دون أن يبعدها عن مرمى عينيه العابثتين، في ظل انشغالها وجدته يحيط بها من الخلف ويضمها إليه، ليرتكز كفَّاه على بطنها ويهمس في أذنها:**

**– كيف حال صغيرتاي الشقيتان؟**

**ابتسمت برقة لتلعق ما تبقَّى من الشكولاتة في إبهامها، لتبادله الهمس بشقاوة:**

**– تهتم بصغيرتيك فقط؟ ماذا عني؟**

**تنهد مطولًا ليديرها قبالته وأمسك بكفها ليلعق أصابعها:**

**– أنا لا أخاف عليامرأةٍ تتوحم على المحشي بالنوتيلا يا صغيرة!**

**ضربة خفيفة على كتفه كان ردها، لتستدير وتكمل وجبتها الشهية وهي تتمتم:**

**– اذهب الآن، أرغب في الأكل.**

**عقد حاجبيه في غيظٍ طفولي وهتف:**

**– ألا تظنين أنكِ قد تخطيتِ هذه المرحلة؟ أنتِ في شهرك الثامن حبيبتي.**

**هزت كتفيها بلا مبالاة:**

**– احببت هذا الأكل ولا أريد أن أتوقف عنه.**

**عقد حاجبيه ليتذمر:**

**– لكنك هكذا ستكسبين الكثير من الوزن!**

**هل كانت تلك غلطة عمرك يا قصي؟! لا بل ذنب ارتكبته ولن يحل عليك مساء إن لم تهرب الآن!**

**تطلَّع إليها وهي تستدير إليه، حاول كتم ضحكاته من منظرها المضحك، شعرها المشعت وعينيها المتسعتين دهشةً وغضباً، ثم شفتيها وأسنانها الملطخة بتلك النوتيلا بالإضافة لتلك المنامة الطفولية.**

**قالها من قبل؛ الأنثى عند الغضب تصرخ، تضرب أو تسكت أو تقوم بأي شيء، لكنها هي _وهي فقط_ من تغمز عند الغضب.**

**لكن غمزتها تلك تابعها تأوُّه ووضع كفها على بطنها وملامحها قد بدى عليها الوجع، عقد حاجبيه واقترب منها:**

**– حبيبتي ما بكِ؟ هل يؤلمكِ شيءٌ ما؟**

**نظرت إلى بطنها لوهلة وما لبثت حتى بدأت تحس بسائل دافيء يلمس رجليها، لتطلق صرخة صمَّت أذنيه وجعلته يكاد يفقد نبضات قلبه، ظلَّ ينظر لصورتها المذعورة حتى وجدها تصرخ به:**

**– قصي تحرك سوف أموت!**

وجملتها كانت كلسعة حية أفاقته من صدمته ليتجه نحوها ويمسكها، أجلسها على الأريكة ومال نحوها يمسك بكلا كفيها ويحثها على التنفس، كان توتره قد بلغ أقصى مراحله؛ فقد احمرَّ وجهه وتعرق جبينه على عكسها هي، ففي لحظة قد بدى هو من سيوشك على الولادة!

ظل يردد في هيستيريا والمسكينة تكاد تموت ألًما:

– حسنا حبيبتي، خذي شهيقًا ثم زفيًرا...

واستمر يرددها في حين بدأت هي في الصراخ أكثر:

– شهيق... زفير... شهيق... زفير...

أغلقت عينيها تحاول استدعاء الصبر لكن عبثاًوبمعجزةٍ مدَّت كفيها لتحيط وجهه وتركز بعينيه وهي تلهث:

– قصي، قصي ركز معي! أنا من ستلد وليس أنت، إذًا بالله عليك اذهب وأحضر لي لباسي.

ثم صمتت قليلًا لتصرخ بوجهه:

– ألا ترى أنني سألد!! يا إلهي!

هزَّ رأسه بصمتٍ ليحاول التنفس ثم استقام ليجمع شتات أفكاره لتصرخ به:

– آااااه قصي ليس وقت التفكير، اذهب!!

انطلق راكضًا إلى غرفتهم وأكل الدرجات التي تفصله عن الطابق العلوي في لحظات، وفتح الخزانة ليسحب منها لباسها وقد حرص أن يكون واسعًا؛ فلا يرغب بأن يرى بطنها المنتفخ غيره.

**نزل إليها فوجدها تعضُّ على شفتيها وقد احمر وجهها وتبللت خصلاتها التي استطالت بالعرق إثر التعب، ألبسها والخوف قد تسرَّب إلى قلبه لكنه يجب أن يكون قوياً لأجلها لا أن يتصرف كالنساء.**

**حملها برفق وخرج بها ليركُبها السيارة وينطلق حذًربسرعة متوسطة كي لا تحدث مصيبة بسبب توتره، وصل بها إلى المستشفى لتستقبله ممرضة من الإسعاف، أجلسوها على كرسي متحرك، تعجَّب من قوتها وتحملها للألم، أحسَّ بغصةٍ في قلبه من مظهرها، كان يجب أن يمهلها المزيد من الوقت فهي أصغر من أن تتحمل هكذا ألم، لكنه يجهل أن حوَّاء قد أمدها اللّهبقوةٍ تجعلهاصامدةً مهما كان الألم، فلو قلت القوة يقولون الرجل، أما الصبر والتحمل فهي الأنثى.**

**قطع تفكيره وصول ممرضة أخرى وهي تهتف بزميلتها:**

**– خذيها إلى غرفة العمليات حالًا لنجهزها، الدكتور أمجد جاهز.**

**أمجد! هل ذكرت اسم رجل الآن أم أخطأ هو السمع! لقد أخفى بطنها وكاد أن يخفيها هي بهذا اللبس والآن هذه المعتوهة تقول أمجد!**

**وجدهم يسحبونها فأفاق من شروده ليوقفهم ومد يده ليمسك بالكرسي تحت نظرات إسراء المذهولة وتأوهاتها التي تكاد أن تعود للصراخ.**

**– ألا يوجد غير أمجد هذا؟**

**اتسعت عيناها دهشةً في حين ابتسمت كلتا الممرضتين إعجابا به وبغيرته عليها، وهي لاحظت ذلك وتعالى غضبها لتصرخ به:**

**– ليس وقت غيرتك قصي، هل تريدني أن ألد لك هنا في رواق المستشفى؟!!**

**زفر في حنقٍ ومدَّ يده ليمررها بين خصلاته في غضب:**

– لا أريد أن يلمسك ذكر إسراء، على جثتي.

زمَّت شفتيها في ضيقٍ وزاد ألمها لتصرخ به:

– أتريد أن تستلم جثتي إذًا؟ كفاك جنوناً قصي! كفى!!

ربَّتت الممرضة على كتفها وابتسمت لها برقة:

– لا تقلقي وتنفسي جيدًا، هُنالك الدكتورة منى سنطلبها حالًا.

تنهد هو بارتياح، أمَّا هي فقد رمته بنظراتٍ نارية تكاد تحرقه، فزمَّ شفتيه وهزَّ كتفيه ليتمتم بضيق:

– أنا أحبكِ ولن أسمح لأحدٍ بلمس زوجتي.

رفعت وجهها تستدعي الصبر ثم أخذتها الممرضتان للغرفة واستدعتا الطبيبة التي أذنت له بحضور عملية الولادة ما دامت طبيعية.

علا صوت صرخاتها واحتدَّ الألم فأرهقها ولم يعد لديها سوى الصراخ والصبر، أما هو يكاد يجن، يخشى فقدها ويموت لو أصابها مكروه، وكره نفسه لاستسلامه لغيرته وتصرفه بأنانية.

ابتدأت عملية الولادة فتشبث كفها الصغير بين كفيه ليدعمها، أسند جبينه على رأسها وبدأ في تلاوة القرآن لها بصوته الذي تعشقه، لم يكن يحسُّ بمن حوله، هي مليكة قلبه ولن يتحمل أن تصيبها ذرة وجع، أما هي فبرغم وجعها سَحرها صوته كما يسحرها دائمًا، بل كادت أن تنسى آلامها وهي مأخوذةٌ بآيات القرآن الكريم وبصوت حبيب قلبها هي.

وبعد دقائق دوى صوت بكاء صغيرتهما الأولى جوري لتليها توأمتها ياسمين ببضعة دقائق، وجدها تغُلق عينيها فنظر للطبيبة بذعرٍ لتطمئنه:

– لا تخف، عليها أن ترتاح، هي متعبة.

أومأها لتشير هي للصغيرتين:

– ألا ترغب في حملهما؟

نظر نحوها في حيرة، لم يستوعب ما قالته، كيف يحمل هذه الكائنات الصغيرة والرقيقة؟ يخاف عليهما من نسمة الهواء فكيف يتخيل أنه سيؤذيهما!

قرأت الحيرة على ملامحه فابتسمت له وحملت إحدى الصغيرتين، لتتقدم نحوه وتحثُّه على حملها:

– طبيعي أن تتوتر، احملها لا تخف، لن تؤذِها.

تردد لثوانٍ ثم حسم أمره ليمد يده فيمسك بصغيرته، شعوٌر غريب اجتاحه، بين خوف وحب وحنان ورغبة في الضحك والبكاء، ملامحه لم تتوقف عن التغير، أتلك هي الأبوة؟

مزيجٌ من مشاعر تنشر القشعريرة بجسد الإنسان، مسؤوليةٌ كُتبت له منذ هذه اللحظة، وثمرة عشقلامرأةٍ عشقها.

ابتسم بارتباكٍ ومدَّ أنامله يلمس بها ملامحها الصغيرة بحنانٍ بالغ، ثم اتجه إلى الممرضة الأخرى ليرى صغيرته الثانية والتي لم تتوقف عن البكاء، فنظر نحو الممرضة بتساؤلٍ صامت لتجيبه:

– لا تقلق هذا طبيعي.

أومأ لها ثم تقدمت منه الممرضة الأخرى لتأخذ منه الصغيرة:

– يجب أخذهما للحضانة الآن سيد قصي، يمكنك الآن الذهاب والاطمئنان على زوجتك، وبعد قليل سنحضرهما.

أومأ لها واتجه إلى محبوبته في قلقٍ جعله يأكل المسافة بينه وبين غرفتها، فتح الباب ليجدها مستلقية وتبدو على ملامحها الراحة، نائمةٌ في هدوء وخصلاتها تغطي وجهها.

اقترب منها وعدَّل شعرها ليفترس ملامحها التي يعشقها، أمسك بكفِّها يقبِّله ثم انحنى ليطبع قبلة رقيقة على شفتيها جعلها تستيقظ، فابتسمت له بإرهاق وهمست:

– كيف حالهما؟

همس بدوره مازحًا:

– يبدو أن للمحشي والنوتيلا أثرًا، إنهما بكامل صحتهما وتشبهانك كثيرًا.

ابتسمت برقة وأمسكت بكفِّه لتقُبِّل باطنه، ثم نظرت لعينيه فتهيم بهما:

– لا تعلم كم أحسست بالراحة وأنا أستمع لهمسك في أذني بآيات القرآن.

ابتسم لها واقترب ليجلس على الفراش فاستقامت هي لتسند رأسها على كتفه وتتشبث بكفه، مد يده ليرفع وجهها إليه وينظر لعينيها:

– لم أستطِع تحمل رؤيتك في تلك الحالة وأنا عاجزٌ عن فعل أي شيء لكِ.

ضمَّت نفسها إليه لتجد راحتها وأمانها ثم همست:

– متى أراهما؟

ملَّس على خصلاتها بحنان ثم أجابها:

– لن يتأخروا، سأتصل بأمك ووالدي لأخبرهم بقدوم حفيدتيهما.

مرَّت نصف ساعة على وضعهما حتى سمعا دقات خافتة على باب الغرفة، فنهض قصي بخفةٍ ليأذن للطارق بالدخول، ولم تكن سوى الممرضتين مع الرضيعتين.

ابتسمت إسراء لتتجمع الدموع بعينيها ثم مدت ذراعيها لتستقبل إحداهما، تسارعت دقات قلبها وهي تنظر للملاك النائم بحضنها، ابتسمت برقة وهي تكتشف كذبته، إن الشبه كبير بينه وبين صغيرتهما هذه!

اتجهت بنظراتها إليه لتجده يحمل الرضيعة الأخرى وينظر لها بحب، ثم اقترب منها ليضمها ويضم صغيرته الأخرى وهمس لها:

– شكرا لكِ.

نظرت إليه في تساؤل ليجيبها:

– لولاكِ لما حصلتُ على عائلةٍ كهذه، وعلى وردتين من أجملامرأةٍ رأتها عيناي.

أخفضت رأسها خجِلةً ليقُبِّلها من وجنتها ويهمس لها:

– أحبك يا أم الورود.

تمَّت بحمد الله

